الفصل الثالث

الزيارة الملهمة

في ثاني أيامي في المستشفى وبينما أنا مستلقٍ على سريري ، وقد انصرف من عندي كل مَن جاء ليزورني ويطمئن على صحتي من أبنائي وأقاربي وكذا أصدقائي؛ أخبرتني الممرضة أنَّ شخصًا قد جاء لزيارتي ، فطلبت منها أن تسمح له بالدخول فأنا مستيقظ على أية حال ، كما أنني في حالة جيدة ، وانتظرت ذلك القادم فدخل عليَّ واحدٌ من الموظفين الذين يعملون عندي في الشركة اسمه "مراد" وهو يعمل في قسم العلاقات العامة ، وهو رجل مهذب وفي أوج شبابه، دائم الابتسامة ، مجتهد في عمله ، لا تسمع منه أو عليه أي شكوى ، أو هكذا ما يبدو لي على كل حال .

تمنى لي مراد الشفاء العاجل وجلس يسألني عن صحتي وكيف حلَّ بي هذا التعب المفاجئ ؛ فأجبته بأنه أثر السن والحياة ومتاعبها التي لا تنتهي .

أجابني بابتسامة صافية ملأت وجهه الودود "سيد أكرم نحن من

نصنع الحياة وليس العكس" نظرت إليه طويلاً أتفحص وجهه الباسم الذي لا يبدو عليه أنه يحمل في قلبه عناءً أو همًا من أي نوع ، وجه لشاب لم تعركه الحياة بعد ، وسألته " كم عمرك يابني ؟!"

"عليك أن تتوقع كم يكون عمري"

"أظنه خمسة وثلاثين عامًا على الأكثر ، إن التجاعيد ليس لها مكانًا في وجهك ، كما أنني أظنك لا تحمل عبء أسرة كبيرة أو ما شابه"

ابتسم قائلاً " وكيف عرفت عمري هكذا بكل سهولة ؟ وأيضًا تفاصيل حياتي التي خمنتها ؛ هل كل هذا مكتوب على وجهي ؟"

بابتسامة ثقة وخبرة تابعت كلامي قائلاً : " إن آثار الزمان تُحفَرُ على الوجوه ، ويبدو من وجهك عكس ذلك ؛ فأنا أعتقد أنك واحد من هؤلاء المترفين الذين يقضون وقتهم في الجلوس للقراءة حول المدفأة في أوقات الشتاء القارس ويمارسون التنزه في الحدائق ، والرياضة وما إلى ذلك"

" من الواضح سيد أكرم أنك قد كونت رأيًا عميقًا عن الحياة ،

obeikandi.com

وأن خبراتك العديدة قد أكسبتك حنكة كبيرة تستطيع بها الحكم على الأمور"

"إنَّ عمري خمسون عامًا يا بني مما يعني أنك مازلت شابًا مقارنةً بي ، وسوف تدرك كلامي هذا جيدًا بعد أن ترى ما رأيت أنا"

"وماذا لو قلت لك أن ما اعتقدته عني ليس صحيحًا بالمرة؟ فعمري أربعة وأربعون عامًا ، هذا بالنسبة للعمر . أما عن باقي حياتي فقد عشت حياة فيها الكثير من المصاعب ، كما أنَّ لدي أربعة من الأبناء ولدين وبنتين ، وبالمناسبة ليس عندي مدفأة أقرأ بجانبها شتاءً"

قالها والإشراق يملأ وجهه والدهشة تغزو كل ذرة في كياني ، كيف لهذا الوجة المبتسم الودود أن يكون قد قضى أربعةً وأربعين عامًا في هذه الحياة ، تلك الحياة التي ليس فيه ما يبهج أو يسُرّ ، تلك الحياة التي قال عنها أبو العتاهية :

سئمت تكاليف الحياة ومن

يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

وكان هذا قديمًا ، لكنه لو عاش زماننا لقال :

سئمت تكاليف الحياة ومن

يعش ثلاثين حولاً لا أبا لك يسأم

فبادرته بسؤالي " هل حقًا ما تقول ؟! إنك تبدو أصغر بكثير من ذلك ، وهل لديك أربعة أبناء بالفعل ؟ ولا يبدو أنَّ هذا له تأثير على حياتك ؛ إن لدي أربعة أبناء أيضًا ؛ لا .. بل أربعة عوامل فعالة للدفع بي للجنون والتفكير القوي في التخلص من الحياة . بل لا أكذب إن قلت أنهم أحد أسباب وجودي هنا إن لم يكونوا كل الأسباب ، وأنت مع ما قلته تبدو مرحًا مبتهجًا سعيدًا ولا أعرف كيف ذلك "

" في الحقيقة إن كوني متزوجًا وعندي أربعة أبناء هو ما يزيدني سعادة وقوة ويجعلني دائم الحمد والشكر لربي الذي أعطاني هذه النعم ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ أليس هذا ما قاله ربنا عز وجل "

أصابتني إجابته بصدمة شديدة ، فهو إما إنسان مثالي إلى حد لم أره في حياتي كهؤلاء الذين يتواجدون في قصص الخيال فقط ، أو هو

مجنون قد ضربته مآسي الحياة حتى أنه لم يعد يعرف ما يقول ، ومع توالي تلك الأفكار وتتابعها في ذهني فاجأني بقوله :

" أعرف ما يدور في ذهنك فقد اعتدت رؤية تلك النظرات على العيون عند الحديث عن هذه الأمور مع أي أحد وأنا أراك واحدًا من هؤلاء أليس كذلك؟"

" ماذا تقصد بهؤلاء ؟"

"الذين يؤمنون بأن الحياة لا تستحق عناء عيشها ، وأن الأقدار قد تسببت في سلبهم حقهم الطبيعي في التمتع بتلك الحياة ، وأنهم كانوا أفضل حالاً أيام الصبا والشباب ، حيث لا مسئولية ولا متاعب أو ضغوط ، ثم تلونت حياتهم بلون مغاير بعد الزواج وازدياد الأعباء من: زوجة لم نعد نحبها ، وأبناء لم نعد نطيق أنفاسهم حولنا التي تحولت إلى ميكروبات فتاكة تعصف بنا وتهدد حياتنا"

طال تفكيري في كلامه وصمتي جعلني أعتقد تمامًا أنني بالفعل من هؤلاء – لم يكن مخطئًا إذن فيما قاله – وقلت له " بالفعل أنا من هؤلاء . هل تعرف لم أنا هاهنا ؟"

"كلا لكني أستطيع التنبؤ مادمت ترى كما يرى الكثير من الآباء أن الحياة مع الأبناء أصبحت ضربًا من المستحيل ، وأن الآباء السعداء مع أبنائهم في تلك الحياة ينبغي إضافتهم إلى قائمة عجائب الدنيا ، فالأبناء والزوجات وضغوط العمل كفيلة بأن تجعلك هاهنا . أليس كذلك ؟"

"إنَّ واحدًا من الأربعة كفيل بأن يجعلني على لائحة الانتظار مع راغبي التخلص من تلك الحياة ، فالعمل وضغوطه والتي أعتقد أنك تعرفها مثلي تمامًا . لكننا اعتدناها على أية حال ، أما أن تعود إلى بيتك الذي هو سكنك وموضع راحتك فتجد أن المسافة بينك وبين زوجتك تتسع كل يوم حتى تشعر مثلي بعد خمسة وعشرين عامًا من الزواج أنَّ كل واحد منا يعيش في بلد غريب عن الآخر وأن ما بيننا صار وكأنه مراسلات بين اثنين من الغرباء جمعتهما صدفة الزواج"

"وفلذات أكبادك ؟"

"فلذات الأكباد ؟!" اعتدلت في مجلسي وتأهبت للانقضاض وقلت بكل قوة . بالله عليك أخبرني من قائل هذه العبارة ؟ . إنني أشعر أنَّ بيني وبين قائل هذه الكلمة ثأرٌ لا يهدأ ولو كنت في زمانه

لبحثت عنه ولصارت بيينا معارك يتحدث عنها المؤرخون عبر الأزمان ، وعندما يقع بين يدي سأسأله سؤالاً واحدًا ، هل تقصد فلذات الأكباد أم مفسدات الأكباد ؟ لعلك أخطأت ، راجع نفسك يا رجل قبل أن أقضي عليك"

قهقه صديقي من كلامي مما دفعني للضحك أيضًا وأثناء الضحك أمعنت نظري فيه ... ياللهدوء والثقة التي يتمتع بها ، أشعر بأنه رجل لا يعيش بيننا في ذلك العالم المعقد ، تلك البساطة التي تكسو وجهه وتعاملاته ، والاتزان النفسي الذي تشتم رائحته كلما تكلم أو حتى أثناء صمته ، إنه من أولئك الذين تشعر أنَّ على وجوههم مسحة قدسية غريبة .

"سيد أكرم لو كنت مكانك لفكرت جديًا في تغيير حياتي؛ إنك بهذا الشكل تفقد حياتك بالبطيء" قطعت جملته تلك أفكاري .

" أغير حياتي وهل أستطيع ؟!"

" بل قل .. وكيف لا أستطيع ؟! إنك أفضل مخلوقات الله

عز وجل ألم تسمع قول الله عز وجل : ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾. إنك تحمل الخير بداخلك وطاقة لا تنتهي وعبقرية عظيمة"

لا أكذب إن قلت أنني كنت أسمع الكلمات بلهجة غير ما كنت أسمعها من قبل، شيءٌ ما في طريقة عرضه ولباقة حديثه وهدوءه واتزانه جعلني مشدودًا لحديثه وقلت "اسمع يا صديقي لقد سمعت هذا الكلام من قبل ، لكن مع كل مرة كنت أسمعه فيها كنت أسخر من قائله لأنني لا أعتقد أن أحدًا يفعله في هذه الحياة أما أنت أمامي الآن أرى رجلاً يناهز عمري ولا تبدو عليه سيما الكبر كما تبدو علي ، عنده عدد من الأبناء مثلي لكنه سعيد ، أظنك تحب زوجتك . وأراك تفعل ما تقول"

"لقد جئت هنا يا صديقي لأساعدك . فهل تقبل؟ وهل أنت مستعد لذلك ؟"

" إنك تتحدث مع رجل حياته بلا قيمة ، يعيش ليعمل فقط، من ثم يعود إلى بيته ليرى أهله الذين لا تجمعه بهم أي روابط أسرية، أو تجمعات سعيدة ، إنما هم أهل فندق واحد – إن صح التعبير – ،

يوشك أن يرحل كل واحد منهم عن دنيا الآخر ، ولا أعتقد أنَّ واحدًا سيحمل للآخر أكثر من بعض الذكريات ، ومع كل هذا فقد حاولت أن أغيرٍّ لكن لا أحد يستجيب أو يسمع . حتى أنه قد تكوَّن عندي اعتقادًا جازمًا أنه لا حياة غير تلك التي نعيشها كما أنني أشتكي والكل حولي يشتكي ، إنني لا أكون مبالغًا عندما أقول أنك الشخص الوحيد الذي قابلته بهذا الشكل . . . لكني أريد أن أبدأ معك ، أشعر بصدقك وأن التجربة معك ستكون مختلفة ، على الأقل لن أخسر شيئًا"

ابتسم مراد مرددًا عبارة قلتها ألا وهي "أهل فندق واحد" وهو التعبير الذي دائمًا ما تراه في بيوتنا فلم تصبح بيوتنا تجمع أهلاً ، وإنما صارت تجمع غرباء في مكان يجمعهم . لكنه تابع قائلاً :

" بل أؤكد لك أنك ستكسب نفسك ، وأبناءك ، وزوجتك، وعندها سترى أن هناك في الحياة من يستمتعون - لا بالغنى والشهرة - وإنما بنعمة الرضا والسعادة ، وحب الآخرين والسعي الدائم لذلك ، ذلك السعي النابع من فهم الحياة الصحيح فقد قال لنا الرسول صلى الله عليه وسلم " لو قامت القيامة وفي يد أحدكم

فسيلة فليغرسها" وهذا هو فهم الحياة الصحيح ، الذي ينبع من داخل الإنسان الذي يعرف قيمة نفسه، ومن ثمَّ يعرف قيمة الآخرين ، ويعرف كيف يساعدهم"

" هل تقصد أن الخطأ عندي أنا ، وأنني لا أقدِّر نفسي لذا لا أستطيع فهم الحياة وتقدير الآخرين ؟!"

" بالطبع وهذا هو لب مشاكل أي إنسان أنَّه لا يعرف قيمة نفسه بداية فينسى حمد الله على ذلك فيُحرم من معرفة غيره ، وكما يقال " مَن عرف نفسه عرف غيره "أليس كذلك ؟"

" بلى ، ولكن قل لي بداية ماذا عنك هل أنت واسع الثراء ، كيف تسير حياتك وأنت في هذا العمر بوظيفتك فقط في الشركة عندي ، وأنا أعلم أن رواتب العمل ليست كما يحلم الجميع"

علت مُحياه نظرة غريبة لم أفهمها لكني شعرت أنها رسالة لي فأنا صاحب الشركة وها أنذا أعترف أن رواتبها ليست كما ينبغي لكني تجاهلت تلك الرسالة أو لنقُل ليس هذا وقتها وانتظرت إجابته فقال :

" وهل تعتقد أنني أعتمد على راتبي عندك فقط أن لي عملي

obeikandl.com

الخاص . لقد عملت بعد تخرجي في وظيفة بسيطة وكان راتبي فيها أقل من راتبي عندك لكنَّ اعترافي بقيمة نفسي جعلني أخطط لها جيدًا ، فخططت بأن أدخر جزءًا من مالي لعمل مشروع خاص بي، وقد حدث وكان عمري وقتها ثلاثون عامًا وكان الله قد رزقني بابني الأول ، وكان عمره وقتها ثلاث سنوات وقد تعبت كثيرًا واجتهدت فوق تحملي لأسعد زوجتي وابني ، ومع بداية مشروعي كان أمامي خياران لا ثالث لهما إما أن أترك وظيفتي لأشرف على مشروعي أو العكس فماذا تراني قد فعلت ؟ جازفت بالوظيفة واهتممت بمشروعي ووقتها كنت لا أدع مجالاً إلا وطورت نفسي فيه وقد آتى ذلك كله ثماره معي ورزقني الله بعد معاناة شديدة وكم كان ذلك ممتعًا ومؤثرًا في نفس الوقت أن ترى نفسك وقد امتلكت مشروعك الصغير الذي لا يشاركك فيه أحد وبعد خمس سنوات وعندما صار عمري أربعة وثلاثون عامًا كنت قد توسعت في مشروعي وصار عندي أكثر من عامل فيه وقد كانوا مثالاً للأمانة والهمة العالية ، ومن ثَمَّ قررت أن أعود للوظيفة إلى جانب مشروعي وعدت للعمل وقد مكثت في شركة ما قبل شركتك سبع سنوات ثم انتقلت لشركتك ، ومشروعي في ازدهار وصار عندي فرعان أشرف عليهما ويعمل بها أكثر من موظف وفي

تخطيطي أنني سأترك العمل في شركتك بعد ثلاث سنوات وعندها أكون قد طورت مشروعي وسأتفرغ لإدارته"

"إنك تحكي كما لو كان الأمر أشبه بتحريك قطع شطرنج وتجميعها ، إن الحياة لا تسير بهذه السهولة"

ومَن الذي تكلم عن السهولة إن الأمر لم يكن سهلاً على الإطلاق لقد عانيت كثيرًا حتى أصل إلى كل ذلك ، واستلزم الأمر مني تطويرًا كبيرًا ومجهودًا ضخمًا في إدارة نفسي وبيتي والعاملين عندي ، ولم يكن ذلك أمرًا سهلاً على الإطلاق . لكن كما قلت لك ، يسهل على الإنسان إدارة غيره إذا استطاع إدارة نفسه"

"ومن أين لك بوقت لأولادك مع كل ذلك. عمل وإدارة فرعين في مشروعك ، كيف تجد الوقت الكافي ؟ أليس يومك مثل يومنا؟!"

"إن الفيصل في حسن المعاملة ليس كثرة جلوسك مع الآخرين وإنما أن تكون فترة جلوسك مؤثرة ، بمعنى أنني قد لا أرى أبنائي ليوم كامل أو يومين . لكن هم في قلبي وأنا في قلوبهم وأعتذر لهم عن انشغالي وأنخرط معهم في أمورهم متى تيسر لي ذلك ، إن زوجتك

وأبناءك يريدون أن يشعروا بأهميتهم لا أن تجعلهم كل شيء في حياتك، وبين الاثنين فارق كبير"

" أليس أبناؤك هم أغلى ما تملك ومن أجلهم تفعل كل شيء"

علت ابتسامة كبيرة وجهه وقال " بالطبع لا ، إن أبنائي ليسوا أغلى ما أملك كما أنني لا أفعل كل شيء من أجلهم"

" إنك تحيرني بما تقول"

"إن هذا الفهم المغلوط هو السبب في معظم مشاكل الأبناء مع آبائهم. ذلك لأننا نعتقد أننا خُلِقنا لأجلهم ، وأن علينا أن نبذل أنفسنا لهم طوال الوقت"

"أخبرني إذن ما هو أغلى ما تملك، وما الذي تعيش من أجله"

" أغلى ما أملك هو أنا ، إن وظيفتي في هذه الحياة أن أعْبرُ تلك الحياة إلى الآخرة في طاعة الله ورسوله حتى يرضى عني ربي، وعندما تحاول فعل ذلك يرضى عنك ربك ويوفقك ويجعل الأمور تبدو أسهل ، كما وأنني أحاول أن أكون قدوة لهم يتعلمون من خلالها

obeikandl.com

كيف يواجهون الحياة من بعدي"

" يا لها من فلسفة لم أسمعها من قبل"

" وها قد سمعتها يا صديقي ، فهل أنت مستعد للتغيير ؟"

" ولماذا تساعدني ؟"

" لأنَّ رسولنا أمرنا بذلك " إنَّ النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير" لذا لابد أن نعلم بعضنا البعض متى احتاج أحدنا للآخر ، كما أن أسمى رسالة للإنسان في تلك الحياة هي مساعدة الآخرين ، ولا أبالغ لو قلت لك أنَّ ما يعطيني أكبر الدفعات في حياتي هو مساعدة غيري لينجحوا وليقودوا حياتهم بشكل أفضل"

" وهل تملك الوقت لذلك ؟"

" إن الوقت ليس في كميته وإنما في تأثيره وقيمته. استعد يا صديقي وتجهز لغدٍ رائع ، سآتيك غدًا في نفس الموعد تقريبًا"

وتمنى لي السعادة والراحة حتى الغد .. وانطلق مغادرًا تاركًا خلفه شخصًا متعطشًا للمعرفة انفتح أمامه ينبوع الحكمة الأبدي الذي مَن

obeikandl.com

شرب منه تعلم كيف يواجه تلك المتاعب التي تفسد عليه حياته ، وتجعل السعادة شبحًا لا حقيقة .

من أين جاء هذا الرجل ؟ وما الذي فعله في نفسي في تلك الدقائق المعدودة التي لا تتجاوز الساعة الواحدة ؟ إنَّ ما قاله عن الوقت صحيح " الوقت ليس بكميته ، وإنما الوقت بتأثيره وقيمته " . إنه يعمل عندي منذ فترة ليست بالطويلة ، فكيف لم أعرفه ، وكيف يعيش بيننا هؤلاء الناس الذين تجري الحكمة منسابة كالبلسم على لسانهم لتطفئ لهيب قلوبنا دون حتى أن نعرفهم مكانهم ، أو أن نعطيهم حقهم ، وكيف لا يكونوا على رأس الناس يُشار إليه بالبَـنان ؟!

لم أسمع هذا الكلام من قبل ، ولم أشعر بمثل ما شعرت به أثناء حديثه معي ، لكنَّ الشعور الذي يتملكني الآن هو أنني أريد أن أتعلم منه ، أريد أن أسمع ذلك الكلام الشيق ، إنَّ الأمر يشبه تعلق طفل صغير بلعبة استقر حبها في قلبه ، واعتقد في نفسه أنه يريدها ففيها مفتاح السعادة في حياته ، ونظرت في ساعتي وقلت في نفسي يا إلهي لماذا لا تتحرك عقارب الساعة للأمام بأقصى سرعة ، مازال أمامي ليل طويل حتى الغد ، وذهبت للنوم فقط لكي أجعل الوقت يمر .

من قصيدة "كن أبًا ولا تتنح جانبًا"

عــاهـده ليُـغيِّـر طَبْعـًا　　　وامتدت للوعد يــــداه

علَّـمه كي يرعى ولـدًا　　　لينالَ الأجرَ من اللـــه

وألا يأخذَ عنهم جَنْبًا　　　ومَنْ يَـتَـنَـحّ فما أشقاه

obeikandl.com

الفصل الرابع

يوم ميلادي

بالفعل لا أبالغ عندما أقول أنَّ روحي قد وُلدت ذلك اليوم وإن كان عمري وقتها خمسين عامًا " عمر الإنسان ليس في عدده وإنما في قميته " وكما قالت هيلين كيلر عندما قابلت معلمتها " آن سوليفان " إنه يوم ميلاد روحي .

جاء اليوم التالي وأنا أنتظره بفارغ الصبر ومضت أحداثه تباعًا لا أتذكرها إلا كأشباح وجوه تروح وتجيء من حولي، وتفكيري كله منصب على مجيء معلمي وملهمي .

وصل أخيرًا في نفس موعد الأمس فبادرته قائلاً "لم تأخرت يا صديقي "

فضحك قائلاً " إنَّ هذا هو أكبر دافع لي لأساعدك فأنت متلهف للمعرفة ، ومقبل على التغيير بكل جوارحك ووجدانك ، حتى أنك لم تلاحظ أنني قد أتيت في موعدي تمامًا ولم أتأخر"

" إنَّ يومي حتى الآن لم يكن فيه سوى الانتظار"

"لقد وصلت قبل موعدي بخمس دقائق لكني وقفتها أمام الحديقة التي في ساحة المستشفى ، فلقد رأيت البستاني يعمل فيها، وأحببت أن أراقبه لبعض الوقت . هل تريد رؤيته ؟ إنك تستطيع رؤيته من خلال النافذة التي في حجرتك . تعال سوف نتعلم منه كثيرًا"

لم أفهم جملته الأخيرة هذه فهل سنتعلم من البستاني ما يفيدنا في حياتنا ؟ لكنني لم أشأ أن أراجعه في ذلك وسرت معه حتى النافذة .

وقفنا نراقب البستاني وهو يقوم بالريّ في كل أجزاء الحديقة لا يفعل غير ذلك وصاحبي يراقبه بعين ثاقبة وكأنه يرى أبعد من ذلك وكأنَّ في الموقف مشاهد دقيقة غير مرئية لا أستطيع رؤيتها أنا . ساد الصمت مدة قطعه قول أحمد : " هل ترى ما يحدث ؟"

" أظن ذلك. عامل حديقة يروي أزهاره . أم أن الأمر غير ذلك، ولو كان .. فأخبرني بالله عليك لكي أسرع وأشتري نظارة لتصحيح بصري"

بابتسامة قال " نعم إنه يروي أزهاره . ولكنَّ الأهم هو هل تلاحظ

Opelkandi.com

كيف يرويها ؟ هل يروي جزءًا ويترك الآخر هل يبالغ في ترك الماء ليروي هنا ويقتصد هناك . إنه يرويها بالتساوي أليس كذلك ؟"

" أظن الأمر واضح . فإن الإسراف في ري الماء أو العكس يفسد أزهاره"

لمعت عيناه وهو ينظر إلي قائلاً " رائع إنك عبقري يا صديقي"

لم أفهم بالطبع ما يقصده بقوله عبقري ، ولا أعرف إن كان مدحًا أو ذمًا ، حيث إنَّ أي طفل سيعرف ما قلته وقبل أن أسأله عن قصده قال " انظر الآن ماذا يفعل البستاني"

وكان البستاني وقتها قد انتهى من ري الماء في حديقة المستشفى والتفت إلى مقص كان معه، وأمسكه ومضى يهذب بعض الأشجار والأزهار فيقطع من هذه ويُعدِّل تلك ونحن نراه وصديقي ينظر إليه وكأنه يفعل الأعاجيب . وقال " هل ترى ما يفعله الآن ؟ إنه يهذب أشجاره وأزهاه"

قلت ساخرًا " حقًا . إنه بستاني جيد يعرف ما يفعله"

"ليس هذا فقط وإنما هو ملهم جيد، إن جزءاً كبيرًا من حياتنا

يتلخص فيما فعله ذلك البستاني الآن"

ضقت ذرعًا بما يحدث وكدت أصرخ معترضًا لكن تمالكت نفسي حتى ينتهي لكنه انقض على يدي ضاغطًا وهو يقول " انظر الآن"

رأيت البستاني وقد ترك المقص ومضى يمشي بين أزهاره وكأنه يملّي عينه منها ومن جميل منظرها وتمتلئ نفسه رضا بما صنعه . وللحق فإن منظر الحديقة مبهج جدًا وتناغم الأزهار باختلاف ألوانها يعطيها لمسة من جمال خرافي يريح العين والقلب معًا.

وعدنا للداخل وعاجلته بسؤالي " ها . متى سنبدأ ؟"

"لقد بدأنا بالفعل، لقد أعطانا البستاني درسًا لو فهمناه لانصلحت حياتنا"

"صديقي العزيز وما الذي رأينا غير مشهد عادي رأيناه مرارًا وتكرارًا . رجل يعمل في حديقة"

"ليس بهذه السطحية ، لقد رأيناه واقفًا وسط أزهاره يرويها بالماء، ثم يهذبها ، ثم دار حولها راضيًا بما صنع ، معجبًا باختلاف ألوانها وأشكالها"

"وماذا ترى في ذلك كله ؟"

"قبل أن أوضح لك مقصدي؛ أود أن أسألك سؤالاً : هل ترى هذا البستاني عنده من القوة والفهم ما يجعله قادرًا على زراعة تلك الأزهار ؟"

"بالتأكيد .. أو على الأقل هذا ما يبدو عليه"

"سؤال آخر : هل تعتقد أنه اهتم بالأرض التي يزرع فيها تلك الأزهار"

"لو لم يهتم بها فكيف يأمل أن تعطيه النتيجة التي يتمناها؟"

"رائع جدًا . إذن فذلك البستاني لو حاولنا أن نلخص ما رأيناه منه الآن يكون كما يلي :

أولاً : عنده قوة وفهم يمنحانه المقدرة على زراعة الأزهار في هذه الأرض .

ثانيًا : يهتم بأرضه لكي تخرج له أفضل النتائج – فلو لم يفعل ، فكيف ينتظر ما يرضيه – .

obeikandl.com

ثالثًا : يروي الزرع بالتساوي حسب ما تحتاجه الأرض ويجعل ذلك قدر الحاجة فلا يسرف ولا يمنع .

رابعًا : يهذب أزهاره وأشجاره باستخدام المقص .

خامسًا : وأخيرًا يتقبل وضع أزهاره ، راضيًا عما فعل معها متقبلاً بل ومعجبًا باختلاف ألوانها وأشكالها .

وهكذا المربي عليه أن يفعل كما فعل ذلك البستاني . أي :

– أن يهتم بنفسه بداية لكي يحسن الاهتمام بأبنائه .

– أن يهتم بزوجته ويرعاها أحسن الرعاية ، كما فعل البستاني واهتم بأرضه .

– ثم يفعل مع أبنائه كما فعل البستاني مع الأزهار ، وكان ذلك على ثلاث مراحل :

- **عطاء**: ويتمثل فيما يعطيه الآباء لأبنائهم ماديًا ومعنويًا .
- **تهذيب**: ونعني به تهذيب الآباء لأبنائهم ليتحلوا بالخلق

obeikandl.com

الحسن.

• **تقبُّل:** لابد للآباء أن يتقبلوا شخصيات أبناءهم على اختلافها.

فقلت له : "لقد لخصت ما رأيناه من كل جوانبه"

"مهلاً يا صديقي فقد تعلمنا الكثير من هذا البستاني، حتى أنني أكاد أجزم أنه قد أعطانا درسًا في غاية البلاغة عن مجريات حياتنا ، بل وفي كيفية تربية أبنائنا على وجه الخصوص"

مذهولاً نظرت إليه تعلوني الحيرة لكنه قال وهو ينظر إلّي :

فقط لو لاحظنا ما يحدث حولنا ..... لأمكننا تغيير حياتنا

obeikandl.com

من قصيدة " كن أبًا ولا تتنح جانبًا"

عن كل حياتك كن مسئولاً ... واحفظ وقتـًا كي تحيـــاه

قـد أهداك اللّـــه نعَمـًا ... فاذكرْهـا واشكر نـُعمـــاه

دينـــًا عقــلاً قلبـًا جسـدًا ... وفضّـلك على أهل سمَــاه

obeikandi.com